جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الافريقية

حوض النيل



بحوث ألقيت فى الندوة الدولية لحوض النيل

مارس ١٩٨٧

جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الإفريقية
الندوة الدولية لحوض النيل (مارس ١٩٨٧) : ١ – ٣٤

تعيين الحدود السودانية الحبشية

وأثره على قبائل الوطاويط والبيرتا والبورون والخوما

دراسة وثائقية للفترة ١٨٩٩ - ١٩٣٦

د. السيد على أحمد فليفل

معهد البحوث والدراسات الإفريقية

تشكلت الخريطة السياسية للقارة الأفريقية وبصفة خاصة فى حوض النيل ، فى الأغلب الأعم ، فى غيبة من شعوبها ، وذلك إبان فترة تكالب الدول الاستعمارية الأوروبية على القارة ، ووفقاً لمصالح هذه الدول أساساً .

وقد حظيت الحبشة بتعاطف شديد من الدول الأوروبية التى سيطرت على المناطق المحيطة بها، وهى إيطاليا وفرنسا وبريطانيا، فسمحت لها بالمشاركة فى موجة التكالب الاستعمارى ، بحيث كانت الدولة الأفريقية الوحيدة التى لم تتقلص حدودها أو ينتهك استقلالها إبان تلك الموجة ، بل على العكس من ذلك كانت الحبشة الدولة الافريقية الوحيدة التى اتخمت بالمستعمرات، وكونت إمبراطورية شاسعة لها على حساب الشعوب المجاورة ، على نمط الإمبراطوريات التوسعية القديمة فى وقت كان التوسع الاستعمارى فيه وليد عصر الثورة الصناعية. [(١)]

ولكن على الرغم من هذا الجذب الأوروبى على الحبشة ، فإنه من الملاحظ أنها كانت عرضة للاستخدام كورقة ضغط فى صراعات الدول الأوروبية الثلاث من حولها فرنسا ، وبريطانيا وإيطاليا ، وتبدى هذا الاستخدام جليا فى خلال أزمتى عدوة وفاشودة . وقد نجح منليك الثانى فى الاستفادة فى النهاية من هذه الصراعات للتوسع فى القرن الافريقى والسودان .

(١) السيد فليفل (دكتور) : تصور بريطانيا للخريطة السياسية للقرن الافريقى والسودان والحبشة بعد الحرب العالمية الأولى ، الندوة الدولية للقرن الافريقى ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ٥ – ١٠ يناير ١٩٨٥ .

أ- الظروف التاريخية لتحديد الحدود السودانية الحبشية :

فى نفس العام الذى تربع فيه منليك الثانى على عرش الامبراطورية الحبشية كان المسئولون البريطانيون ينظرون بجدية فى امكانيات تنفيذ فكرة أحد كبار امبراطوريتهم الاستعمارية، وهو سيسل جون رودس، للسيطرة على القطاع الشمالى الجنوبى من القارة الافريقية يمتد بين القاهرة والكيب ، ويتقاطع مع خطة فرنسية للسيطرة على القطاع الشرقى الغربى من القارة بين جيبوتى والسنغال .

ففى ١٨٨٩ قرر لورد سالسبورى السيطرة على حوض النيل ، وبهذا صارت الحبشة مصدر قلق لصناع السياسة البريطانية . وطالما كانت الحياة فى وادى النيل تعتمد على الأمطار التى تسقط على الهضبة فإن الموقف السياسى فيها شديد الأهمية لشعب وادى النيل[٢] .

وفى ١٠ أبريل ١٨٩١ أصدر منليك الثانى خطاباً دورياً يحدد فيه ما اعتبره حدود بلاده. وعلى الناحية الغربية فقد كان يرى أنها تشتمل على الخرطوم ذاتها، وبحيرة فيكتوريا ، وهو ما كان أمراً مجهولاً لكثير من الساسة البريطانيين[٣] .

ومن هنا يمكن أن نتلمس ملامح سياسة بريطانية واضحة خلال التسعينات تقوم على دعم الادعاءات الايطالية فى الحبشة مقابل دعم الادعاءات البريطانية فى وادى النيل من قبل إيطاليا . وقد عبر عن هذا الوضع البروتوكول الانجلو إيطالى فى ١٥ أبريل ١٨٩١ . ولكن هذه السياسة البريطانية تعرضت لضربة هائلة بهزيمة إيطاليا فى عدوه فى أول مارس ١٨٩٦ . وبهذا صارت الجبهة الشرقية لوادى النيل مفتوحة أمام خصم بريطانيا اللدود ، أى فرنسا ، بينما كانت قوات لها تتقدم صوب أعالى النيل من الغرب، لتقابل قوة حبشية قادمة من الشرق، وذلك تحت قيادة كل من رأس ماكونين ورأس جوبانا Gobana ، ميممة صوب بنى شنقول ، التي تشرف على وادى النيل الأبيض وقام جيش آخر باحتلال

(٢) Marcus, Harold: Ethio-British Negotiations Concerning the Western Border With the sudan 1902 (in Journal of African History, Vol. IV, 1963, p. 81).

(٣) F.O. 403/255, Menelek to Rodd, 13 May 1897.

كافا ، واتجه صوب بحيرة رودلف فى إطار خطة مارشان، الذى كان يشق طريقه صوب فاشودة(٤) .

وبهذا استغل الأحباش الموقف الدولى لصالحهم، ونجحوا فى خلق أمر واقع يجعل بوسعهم ابتزاز قطبى الاستقطاب الرئيسيين فى المنطقة بريطانيا وفرنسا، وهرعت لأديس أبابا بعثتان دبلوماسيتان ، إحداهما فرنسية يقودها لاجارد Lagarde ، والأخرى بريطانية يقودها رينيل رود Rynell Rodd وقد بدا أن البعثة الأولى حجبت التفوق البريطانى فى وادى النيل ، وهددت مشروع القاهرة – الكيب(٥) .

ومن هنا فإن بعثة سيررينيل رود واجهت مصاعب حقيقية فى تفاوضها مع منليك الثانى فى أديس أبابا . ولقد كانت بريطانيا مستعدة للاستجابة لتوسع الامبراطور فى أوجادين والسودان ، مقابل ضمان مساعدته لها ضد الدولة المهدية(٦) . ولقد بدا الأمر كما لو كان فرصة سانحة لمنليك لإملاء شروطه فى وقت حاسم بالنسبة للتقدم البريطانى فى وادى النيل ضد المهديين ، وضد الفرنسيين على السواء(٧) .

وبهذا يمكن لنا القول بأن عملية تعيين الحدود الحبشية السودانية ارتبطت بموقف منليك الثانى من الدولة المهدية ، وبالصراع بين بريطانيا وفرنسا فى أعالى النيل(٨) ، وارتبطت أيضاً بالصراع بينهما فى القرن الافريقى ، ومطامع منليك التوسعية فيه(٩) .

---

(٤) Jones A.H.M. & Monroe, E.: Ahistory of Ethiopia, Oxford, 1960; P. 151.

(٥) Marcus, Harold G.: OP. Cit., P. 82.

(٦) F.O. I/32, Salishury's Instructions to Rodd.

(٧) F.O. 403/255, Memorandum by Wingate, 7 May 1897.

(٨) يونان لبيب رزق (دكتور) : السودان فى عهد الحكم العثمانى الأول ١٨٩٩ – ١٩٢٤ القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٩) السيد فليفل (دكتور) : مشكلة أوجادين بين الاحتلال الحبشى والانتماء العربى الإسلامى ١٨٨٧ – ١٩١٣، الفصل الثالث : أوجادين والصراع الدولى فى أعالى النيل ، تحت الطبع.

ب- المفاوضات والمعاهدة :

مهد سيررينيل رود - خلال مفاوضاته مع منليك الثانى ورأس ماكونين فى ١٨٩٧ - السبيل لفتح باب التفاوض بين بريطانيا والحبشة بخصوص الحدود مع السودان . ولقد حصل منليك مقابل تخليه عن مساعدة فرنسا والدولة المهدية علي توسع معترف به فى أوجادين والسودان ، ولقد عينت بريطانيا الضابط جون هارينجتون Jhon Lane Haringten قنصلها فى زيلع معتمداً لها فى أديس أبابا ، وعهدت إليه ببحث مسألة الإدعاءات الحبشية فى السودان ، مع رعاية حقوق مصر فى وادى النيل (١٠) .

وبالنسبة للحدود بين الحبشة والسودان فإنها لم تحدد باعتبارها حدوداً سودانية ، بل حددت كحدود مصرية إسماً، وفى ظل وجود استعمارى بريطانى قوى قاهر فى وادى النيل فعلاً، كما أن الاتفاق الأساسى لتحديد هذه الحدود فى ١٩٠٢ لم يحظ بموافقة مصر(١١) .

- وسوف تتضمن الورقة عدداً من النقاط الرئيسية على النحو التالى :

١- الظروف التاريخية لتحديد الحدود السودانية الحبشية .

ب- المفاوضات والمعاهدة .

جـ- الآثار السياسية والاجتماعية لتحديد الحدود السودانية - الحبشية .

د- دراسة مكثفة لاثار تحديد الحدود علي قبائل الوطاويط والبيرتا والبورون والخوما :

- تحديد لمنطقة الدراسة وقبائلها :

١- هجرة بعض الزعماء إلى السودان .

٢- علاقة الزعماء بمهاجرى قبائلهم وراء الحدود .

٣- صراع الزعماء فيما بينهم علي جانبى الحدود .

(١٠) يونان لبيب رزق (دكتور) : مرجع سابق ، ص١٠١ .

(١١) Brownlie, Ian: African Boundriss, Parts, Sudan Ethiopia & East Africa, 1979, PP. 855, 866.

٤- اضطراب الأمن على جانبى الحدود .

٥- لجوء بعض رعايا الحبشة إلى السودان .

وأخيراً نعقد خاتمة لاستخلاص أهم النتائج التى توصل إليها الباحث .

وقد تأكد هارينجتون بأن منليك الثانى كان مدركاً تماماً لأهمية أن يكون له إحتلال فعلى فى المناطق التى يدعى السيادة عليها . ومن ثم فقد طالب هارينجتون بلاده بأن تحقق إنجازاً عسكرياً كبيراً ضد المهديين قبل أن تتفاوض مع منليك بخصوص حدود السودان . ولقد استبان مدى صدق حدس هارينجتون عندما قامت جيوش منليك بالتوسع ناحية المتمة، فى ذات الوقت الذى كان القتال يدور فيه بين كتشنر والخليفة عبد الله . وقد احتلت قوات منليك بنى شنقول Beni Shengol قبل أن تسقط أم درمان(١٢) .

وقد نصح كرومر هارينجتون بأن يكتفى بإرسال المذكرات واستقبالها مع الحكومة الحبشية، ريثما يتدعم وضع بريطانيا في السودان. وقد أدى هذا التلكؤ إلى إغضاب منليك. والذى كان يزداد مع كل تقدم بريطانى على مناطق كان يدعى ملكيتها، وبصفة خاصة الروصيرص بموقعها الهام على النيل الأزرق ، فضلاً عن منطقة القضارف كاملة بين نهرى العطبرة والنيل الأزرق متضمنة نهر دندر(١٣) .

على أية حال فقد شهدت الفترة الواقعة بين ابريل ١٨٩٩ ، حين بدأت المفاوضات بين الجانبين البريطاني برئاسة هارينجتون، والحبشى برئاسة منليك الثانى نفسه ومشاركة مستشاره السويسرى الفريد إيلج Ilg و ١٥ مايو ١٩٠٢م، حين وقعت اتفاقية الحدود فى أديس أبابا مناورات دبلوماسية قوية من الجانبين ، بل ومن إيطاليا التى طلبت إلى منليك عدم تحديد الحدود في منطقة تودلك

(١٢) البخارى عبد الله الجعلى (دكتور) : دبلوماسية الحدود في افريقيا ، نزاع الحدود بين السودان واثيوبيا - التطورات الدبلوماسية والأوضاع القانونية لحدود السودان مع اثيوبيا وارتيريا ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ص ٣٨ ,

(١٣) Marcus, Harold G.: OP. Cit., PP 85 - 90.

والقلابات حتى تصل هى إلي إتفاق مع بريطانيا بشأن الحدود الاريترية، مما كان مثار احتجاج بريطاني عنيف لدى ايطاليا(١٤) .

وفى أولى جلسات المفاوضات بين منليك وهارينجتون ، والتي عقدت فى أبريل ١٨٩٩ ، كان السند الأساسى لادعاءات منليك فى الأرض السودانية سنداً تاريخياً يتمثل فى قيام بعض حكام هذه الأرض فى بعض الأحيان، بدفع ما يُظن أنه كان جزية لإمبراطور الحبشة . وقد رفض هارينجتون مسألة الحقوق التاريخية على أساسين :

أولهما : أنه لا يمكن التثبت منها ، بل إن هناك ما يدحضها (١٥) .

ثانيهما: أنها لم تعد لها قيمة فيما يتعلق بحيازة الأرض ، ثم إن بلاد منليك الحالية ليست هى اثيوبيا القديمة بالضرورة .

كانت الجلسة الثانية فى المفاوضات ، والتى عُقدت في ٢٢ أبريل ١٨٩٩ ، مخصصة لعرض المطالب وتقديم الخرائط . وكانت خريطة هارينجتون تتضمن إصراراً على أن تكون الحمران والقلابات ودارسوماتى ودارجيبا ودارجاموسى وبنى شنقول داخل الحدود السودانية . وبدا أن منليك مستعد للتغاضى عن الكثير عدا بنى سنقول بسبب ما تضمه أرضها من مناجم ذهب، فضلا عن موقعها الاستراتيجى بالنسبة للملاحة فى النيلين الأبيض والأزرق ، وبالنسبة لتجارة السودان والحبشة (١٦) .

ولقد وجد هارينجتون نفسه مسوقاً إلى تسوية مسألة الحدود باقتراح أمرين:

أولاً : اقتسام مدينة وجمارك المتمة .

ثانياً : التنازل لمنليك عن بنى شنقول .

وبررها رينجتون ذلك بأن الحدود المصرية «السودانية» مع الحبشة لم يسبق تحديدها من قبل، وأن إسترضاء منليك يحول بينه وبين الوقوع فريسة للنفوذ

(١٤) Ibid وكذلك يونان لبيب (دكتور) : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(١٥) Marcus, Harold G.: OP. Cit., P. 89.

(١٦) البخارى عبد الله الجعلى، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٠ – ٤١ .

الفرنسى والروسى ، من ناحية ، ويوفر على بريطانيا استخدام القوة ضده من ناحية أخرى. كما كان التنازل عن المتمة استجابة لرجاء منليك بألا تحرمه بريطانيا من ضم مدينة قتل فيها الامبراطور يوحنا الرابع قبل عشر سنوات على أيدى المهديين ، فضلا عن أنها تضم كثيراً من السكان المسيحيين. ولقد حاول هارينجتون التخفيف من خسارة بنى شنقول بضمان حق التنجيم عن الذهب لشركات التعدين البريطانية(١٧) .

واشترط هارينجتون أيضاً لتوقيع معاهدة مع منليك بخصوص حدود السودان شرطين أساسيين هما :

أولاً : مسح الحدود كاملة، وهو الأمر الذى اضطلعت به لجنة مشتركة بريطانية - حبشية ، وكان الممثل البريطانى عن حكومة السودان فيها هو ميجورجواين C.W. Gwynn وبه اشتهر تحديد خط الحدود .

ثانيا : تأمين حقوق مصر فى مياه النيل .

وقد استجاب منليك الثانى للشرطين البريطانيين ، فبدأ جواين مسح الحدود بطريقة استطلاعية على ما يبدو منذ أواخر عام ١٨٩٩ وطوال عام ١٩٠٠(١٨) .

ثم اضطلع بمهمة تحديد الحدود بشكل فعلى بعد توقيع المعاهدة منذ نهاية ديسمبر ١٩٠٢ ، وطوال العام التالى (١٩) .

وبهذا زالت العقبات أمام الطرفين البريطانى والحبشى ، ووقع منليك معاهدة مع هارينجتون لتحديد الحدود السودانية فى ١٥ مايو ١٩٠٢ . والمتفحص للمعاهدة يجد أنها تضمنت عدداً من الإشارات التى تدل على عدم مراعاتها لمصالح السكان السودانيين فى المنطقة. وسوف نُعدد هذه الإشارات بعد أن نستعرض أهم مواد المعاهدة .

نصت المعاهدة في مادتها الأولى على تحديد الحدود بين السودان والحبشة

---

(١٧) نفسه ص ص ٤٢ - ٤٣ . وكذلك Marcus, Harold G.: OP. : Cit., PP. 89-90.

(١٨) يونان لبيب رزق (دكتور): مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٣ .

(١٩) Marcus, Harold G.: OP. Cit., P. 94.

بحيث صارت تمتد من خور أم حجر - علي نهر ستيت - إلى القلابات : فالنيل الأزرق - جنوب فامكه - وأنهار البارو Baro والبيبور Pibor والاكوبو Akobo ثم ميليلى Melile ثم إلى نقطة التقاء خط عرض ٦° شمالاً مع خط طول ٣٥° شرق جرينتش(٢٠) .

ونصت المادة الثانية على تشكيل لجنة مشتركة لتحديد الحدود بين طرفى التعاقد أما المادة الثالثة فنصت على تعهد منليك الثانى بعدم بناء أى سد على النيل الأزرق ، أو بحيرة تانا «أو نهر السوباط» مما يكون من شأنه تحويل فيضان المياه فى النيل ، إلا باتفاق مع حكومة بريطانيا وحكومة السودان. ولكن منليك احتفظ لنفسه بحق استعمال قوة المياه دون أن يؤثر ذلك علي كميتها .

أما المادة الرابعة فنصت على أن تؤجر لحكومة السودان - طالما هى تحت الحكم الثنائى الانجلو مصرى - مساحة من الأرض بجوار ايتانج Itang على نهر بارو، لا تزيد مساحتها على ٤٠٠ هكتار ، لتستخدمها كمحطة تجارية، على ألا تستخدمها لأية أغراض سياسية أو عسكرية .

وأما المادة الخامسة فنصت على أن يَمنح منليك الثانى للحكومة البريطانية وحكومة السودان حق مد خط حديدى عبر الأرض الحبشية لربط السودان بأوغندا . واتفق على أن يعقد اتفاق مشترك لتحديد الأرض التى يخترقها الخط الحديدى .

جـ- الآثار السياسية والاجتماعية لتحديد الحدود السودانية الحبشية:

كان ما أدى إليه الإتفاق من أيلولة بنى شنقول ونصف المتمة إلى الحبشة ، يعنى أن المعاهدة قطعت صلة أناس كانوا يحيون حياة واحدة من قبل. كذلك فقد جاء تأجير المنطقة المجاورة لإيتانج دليلاً على أن خط الحدود لم يراع المصالح الاقليمية لمن يحيون على جانبيه ، وأثر على التجارة بين السودان والحبشة لدرجة

(٢٠) أنظر النص الانجليزى للمعاهدة في : Brownlie, Ian: Op. Cit.: PP. 866-70. وانظر تفصيلات أخرى فى كل من : يونان لبيب رزق (دكتور): المرجع السابق ص ١٠٥ ومحمد عبد الغنى سعودى (دكتور): السودان، الانجلو المصرية ، ١٩٨٥، ص ٧ .

(٢١) Jones A.H.M & Monroe, E.: Op. Cit., P. 149.

اضطر معها طرفا التعاقد إلى النص على هذا الوضع لضمان التجارة السودانية مع الحبشة(٢٢) .

ومن أهم الملاحظات على خط الحدود الذى أقرته المعاهدة أنها عقدت فى ظل الاستعمار البريطانى لوادى النيل ، ودون أن يمثل فيها شعب السودان، أو يستشار ، وأنها غضت النظر عن آراء شعب منطقة الحدود وقبائلها، ولم تضع أدنى اعتبار لانتماءاتها ومصالحها. وعلى سبيل المثال فإن قبيلة الأنواك قد انقسمت على جانبى الحدود بين السودان والحبشة فى القطاع الجنوبى(٢٣) . وكان منليك قد وافق على تحديد الحدود ولم يعترض عليها، ولكن في عام ١٩٠٧ طالب بضم جيروك Jerok إلى بلاده بهدف أن يحصل على كل منطقة البيرتا والوطاويط - على ما يبدو - ولكن لم تستجب له حكومة السودان (٢٤) .

وقد أدى عمل اللجنة المشتركة لتحديد الحدود إلى تكريس هذا الوضع ، بعد أكثر قليلاً من عام بعد عقد المعاهدة (٢٥) . وقد جرى مزيد من العمل على صعيد تحديد الحدود فى أعوام ١٩٠٣ و ١٩٠٧ و ١٩٠٩، بمعرفة نفس الضابط (٢٦) .

وكان قد اتفق فى عام ١٩٠٧ على أن تعيين الحكومتان الحبشية والسودانية ممثلين لهما لتحديد الحدود «على الطبيعة» ، إلا أن الحكومة الحبشية تقاعست عن تعيين ممثل لها، مما أدى إلى انفراد جوين بالعمل فى عامى ١٩٠٧ ، ١٩٠٩، ولكن الحكومة الحبشية سجلت رفضها للتحديد الذى قام به ميجورجواين ، كما كانت الحكومة المصرية تثير مشاكل كبيرة بصدد بروتوكلات الحدود السودانية عامة، متهمة الحكومة البريطانية بالتفريط في الأراضى السودانية، لصالح الدول المجاورة . ولكن خرائط الحكومتين الحبشية والبريطانية توافقت كثيراً مع المعاهدة .

---

(٢٢) راجع نص المادة الرابعة من المعاهدة .

(٢٣) محمد عبد الغنى سعودى (دكتور) مرجع سبق ذكره ، ص ص ٧ - ٨ .

(٢٤) البخارى عبد الله الجعلى (دكتور): مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢٥) Brownlie, Ian: Op. cit, PP., 880-1.

(٢٦) راجع الخرائط التى تبين نطاقات العمل في كل مرة .

ولقد استمرت الصلة قوية بين القبائل التى فصلها خط الحدود ، كما استمرت القبائل الرعوية تقطعه ليل نهار، وتزرعه جيئه وذهاباً . وقد كان هذا نتيجة طبيعية تماماً لعدم مراعاة ميجور جواين للمصالح الاقتصادية للقبائل، واعتماده على الأنهار كحدود طبيعية، مثل خور أم حجر ، والنيل الأزرق ، ونهر بارو ، ونهر بيبور ونهر أكوبو ، ثم على خطوط الطول والعرض الفلكية، مثل خط عرض ٦° شمالاً وخط طول ٣٥° شرقاً. ولقد ترتب على هذا الوضع أن صارت أغلب الحدود بين السودان والحبشة تقع بصورة واضحة داخل السهول السودانية وقد اسفر هذا عن وجود أكثر من نتؤ حدودى لصالح الحبشة فى أراضى السودان ، أن قبائل مثل النوير والانواك دأبت على الانتقال عبر الحدود التى فصلتها ، ولم تراع مصالح رعاتها ، ولا صلات الدم والتراث المشترك بين بطونها. ولقد صارت اقتراحات بعض مسئولى حكومة السودان - أمثال كابتن كيللىKelly فى ١٩١٣ وميجور باكون Bacon فى ١٩٢١ وميجور هاوكينز Hawkins صارت ترى تطلب تعديل الحدود ، بحيث تضم مساحات من الأرض الحبشية للسودان لمعالجة هذه الأوضاع ، إلا أن حكومة السودان أبت أن تثير مشكلة سياسية مع الحبشة. بل ولقد عرض ماكمايل(٢٧) Mac Michael السكرتير الإدارى لحكومة السودان أن تتنازل حكومته عن مزيد من الأرض السودانية فى ١٩٢٣ ، تشمل قطاع البارو ، بعد محاولة الحكومة الحبشية فرض ضرائب عليهم لعبورهم الحدود إلى داخل أراضيها. ولقد ظن جيمس مافى حاكم عام السودان أن تنازل بريطانيا عن زيلع قد يمكن حكومته من حل مشكلة حدود السودان مع الحبشة ، ولكن الفكرة لم تتطور وتدخل مجال التنفيذ (٢٨) .

وإلى هذا الحد إذا كانت الحدود السودانية مجالاً للمناورات السياسية البريطانية، وذلك دون مراعاة لمصالح الشعوب التي تخطط لها هذه الحدود ، وفى غيبة كاملة منها .

---

(٢٧) لما كمايكل كتاب هام هو ، Ahistory of the Arabs in the Sudan يستحسن مراجعته فيما يتعلق ببعض القبائل المذكورة في هذه الورقة. إذا لم يذكر القبائل موضوع البحث .

(٢٨) البخارى عبد الله الجعلى (دكتور) : مرجع سبق ذكره، ص ص ٥٢ - ٦٨ . ولاحظ أن بريطانيا التي تنازلت عن أدجامين للجبشة في معاهدة ١٨٩٧، تعرض للتنازل عن زيلع فى الصومال البريطانى للحبشة أيضاً .

وإذا كانت هذه وجهات نظر كل من الحكومة المصرية ، والإدارة البريطانية فى السودان من قضية الحدود الحبشية - فإن من المطلوب أن نتتبع ممارسات الأحباش بشأنها . من الملفت للنظر أن الأحباش لم يراعوا الاتفاقية ، ولم يكفوا عن محاولات التوسع ، وشهدت مناطق الحدود التى تمتد ألسنتها فى السهول السودانية نشاطا حبشياً توسعياً . وإذا لم يكن من شأن هذه الورقة أن تقدم سجلاً لكل هذا النشاط ، فإن بعض الأمثلة عليه قد تكون مفيدة .

ففى مارس ١٩٢٣ قام فيتورارى فانتا Fitaurari Fanta وفيتورارى عودة Oda ومعهما نحو ٣٦٠ رجلاً مسلحين بالبنادق بعبور الحدود وتقدموا صوب واراقارا Warragarra ، حيث هاجموا قبيلة البورون Burun وقتلوا عشرة أشخاص منها ، بينهم أحد الزعماء ، وخطفوا رجلين وامرأة وطفلين(٢٩) .

وفى فبراير من العام التالى هاجم ديجازماتش بيرو Dejazmatch Birru قبيلة البورون علي خور داجا Daga. وقد فر الناس أمامه من المنطقة ، فتقدم صوب منطقة إقامة قبيلة النوير Nuer علي الداجا غرب ليس Liss ، حيث وضعوا علامة قالوا إنها هى نقطة الحدود بين السودان والحبشة . وقام الغزاة بجمع الجزية ، سواء عيناً أم نقداً، وهى تقدر بحوالى عشرين دولاراً على كل قرية . وقد رحل القسم الأكبر من جيش الغزاه فى ٢٢ فبراير، تاركين ستين جندياً تحت قيادة فيتورارى يانبو F. Yanbo لجمع بقية الجزية . وقد باغتتهم قوة من شرطة السودان ، ففروا تاركين ثلاثة من الأسرى وبعض البنادق والذخائر. كذلك فقد غزا مجموعة من قطاع الطرق الأحباش بقيادة ديجازماتش موكريا Mukria من معسكراتهم فى تابوثا Tapotha منطقة قبيلة تيشانا Tishana . ويبدو أنهم كانوا مصممين على الاستحواز علي أرض هذه القبيلة وضمها لبلادهم . وإزاء هذا كله اضطرت حكومة السودان إلى إنشاء موقع عسكرى متقدم فى فاذيره Fazira للحد من الاعتداءات الحبشية التى اضطرت السكان فى منطقة الحدود إلى إخلائها(٣٠).

(٢٩) Sudan Government, Sudan No. I (1925): Report on Finance, Administration & Condition of the Sudan in 1924, London, 1925, P. 9.

(٣٠) Ibid.

د- دراسة وثائقية لآثار تحديد الحدود على قبائل الوطاويط (البيرتا والبورون والخوما):

تقع البلاد التى تهتم هذه الورقة بتبيان مدى تأثير تحديد الحدود بين السودان والحبشة عليها بين خطى طول ١٢° و ١٠° على الحدود، والتى تعرف باسم بلاد دابوس داخل الحبشة[٣١] . وكانت هذه المنطقة ترتبط بالقسم الجنوبى من المنطقة التى عرفت خلال الاحتلال البريطانى للسودان باسم إقليم الفونج، والذى تحيا فيه قبائل الهمج Hamag الذين كانوا عماد مملكة الفونج قبل سقوطها، فسيطروا على مقدراتها وتحكموا فى ملوكها ، وأداروا أمورها من عاصمتها سنار[٣٢] .

وقد اشتملت المنطقة على ثلاث زعامات محلية فى فازوغلى Fazoghli وكيلى Keili وبنى شنقول ، وكانت جميعاً تعد من توابع مملكة الفونج، وتدفع لها الجزية[٣٣] . وعلى الرغم من أن الهمق كانوا سوداً[٣٤] ، فإن الهجرة العربية إلى بلادهم، مكنت من نشر الإسلام بين ظهرانيهم وتحويلهم إلى اللسان العربى. وليس أدل على توثق العلاقة بين الفريقين من الدور الذى لعبه الهمق فى حياة مملكة الفونج . وقد أدى فتح مصر للمملكة إلى هجرة مزيد من العرب إلى المنطقة، حيث أصهروا إلى أسر الزعماء المحليين فيها ، وأسسوا لأنفسهم نفوذا قويا بين قبائل البيرتا Berta والبورون Burun والخوما Khama ، وصاروا ونسلهم يعرفون بالوطاويط Watawit[٣٥] وهو إسم عام اشتهرت به قبائل الجعليين Ja'llin[٣٦] .

---

(٣١) انظر الخريطة شكل (٣) .

(٣٢) Sudan National Archieve (S.N.R.) Report by G.A. Willis, Under the Heading Fung Prevince, dated 12, 7. 1926. وراجع أيضاً Seligman, C.G., Pagan Iribes of The Nilotic Sudan, London, 1932, PP. 413-6.

(٣٣) S.N.A. Note On Sitt Amina (Amna)

(٣٤) S.A.A. Report by G.A. Willis, Op Cit. p 2.

(٣٥) S.N.A. Note on Sitt Amina (Amna)

(٣٦) S.N.A. Arkell, Souther District Commissioner, White Nile province (W.N.p.), Kosti 29 April, 1928. to the governor, W.N.P., El-Dueim.

وكان الزعيم الاقطاعى من الفونج يعرف باسم مانجيل Mangil وكان يتولى الإشراف على هؤلاء الزعماء فى المنطقة مانجيل الكبير ، الذى يعتبر نائباً عن ملك الفونج فيها . وقد مارس هؤلاء الزعماء الاقطاعيون نفوذهم شبه المطلق على أتباعهم بنجاح بطول الحدود الحبشية - السودانية . وكانت التلال تمتد عبر أقاليمهم، لتوفر لهم حماية طبيعية ضد الأحباش ، عدا فى منطقة الأنجسنا Angassana ، التى كانت مع منطقة بورون تحت الحماية المباشرة لمانجيل الكبير زعيم جولو Gulo، وهو أقوى من مارس السلطة باسم ملك الفونج فى سنار(٣٧) .

وقد دخل الأحباش إلى المنطقة فى أواخر عهد الدولة المهدية ، وتدعم الوجود الحبشى فى المنطقة بعد معاهدة ١٩٠٢، وصار الزعماء الثلاث لقبائل Watawit فى كل من بنى شنقول وخوماشا Ghomasha واصوصا Asosa يخضعون لحكم الحبشة، وصارت بلادهم، بالتالى ، مضطرة إلى التعرف على نمط جديد من الحكومات لم تألفه من قبل، وأصبحت عرضة لممارسات السلطات الحبشية القمعية العنيفة ، وطالبتها بدفع جزية باهظة(٣٨) .

وقد ترتب على هذا الوضع أن دب الخلاف بين بعض الزعماء المحليين واشتعل الصراع على السلطة بينهم، وصار كل منهم يقدم نفسه للسلطات الحبشية باعتباره زعيماً أوحد لقبيلته؛ فطالب حمدان أبو شوك زعيم قبه Gubba، وهو من أصل فونجى همقى - يحكم جوموز Gumuz ، أما خوجالى الحسن (٣٩) زعيم أصوصا فطالب بكل منطقة خوما . ولقد أدى كل هذا إلى نتيجتين خطيرتين :

(٣٧) S.N.A. Report by G.A. Willis, 12.7. 26. Selignan, C.G.: Op. Cit., PP. 416, 426.

(٣٨) S.N.A. Note on Sitt Amina (Amna).

(٣٩) وصف الوزير البريطانى فى أديس أبابا شيخ خوجالى في يونيو ١٩٢٧ بأنه رجل داهية وعلى قدر كبير من الذكاء والقوة، وغم تجاوزه السبعين من عمره، كما صورته زوجه ست آمنه على أنه الزعيم المطلق لقبيلة بيرتا، ولكل البيرتاويين فى السودان والحبشة، مهما هددت قواهم وجبالهم.

أولهما : توفر سوق لتجارة الرقيق فى المنطقة .

وثانيهما : فرار كثير من أبناء القبائل إلى السودان، هرباً من الحكم الحبشى ومطالبة الحكام الأحباش ومن يلونهم من الزعماء بعودتهم (٤٠) . والثابت أن منطقة الحدود شهدت عمليات هروب كثيرة ، حتى من أشخاص مرموقين، مثل الإمام عبد الله شيخ نوجارا Nogara الذى تكرر هروبه على جانبى الحدود، كما تكرر إيداعه السجن على جانبيها أيضا(٤١) .

ا - هجرة بعض الزعماء إلى السودان :

من أبرز عمليات الهجرة التى شهدتها السودان فى اعقاب المعاهدة هجرة زوجة زعيم أصوصا شيخ خوجالى الحسن، والمدعوة ست آمنه بنت الملك سعيد فى عام ١٩٠٥ ، بصحبة الشيخ حامد، وهو فصل اقطاعى وتابع مخلص للشيخ خوجالى الحسن . وقد رافقهما فى هذه الهجرة ستمائه من الاتباع دفعة واحدة ، من أجل الهروب من سوء نظام الحكم الحبشى وقد استقر المهاجرون فى جبل أورا Jebel Ora وصار حامد شيخا عليهم. وقد أخبرتهم حكومة السودان بأن وجوده وأتباعه داخل الأرض السودانية يجعلهم بالضرورة خاضعين لقوانينها وقد مات حامد فى عام ١٩٠٩، فخلفته ست آمنه شيخه أو عمدة على المنطقة - وصارت مدينة مورتوسورو Mortosoro عاصمة لها (٤٢) .

ويبدو أن الامبراطور منليك الثانى شعر بأن الضرورة تستوجب سحب قواته من منطقة الحدود المواجه الثورة الاوجادينية بقيادة السيد محمد بن عبد الله حسن ، وبعد أن تمكنت قواته من إرغام المنطقة الجديدة على دفع الجزية ، وبعد أن ازاق أهلها قوة جيوشه التى أعادت تجوس خلالها ديار من لا يدفع الجزية، في مواسم الحصاد . وقد سحب الامبراطور منليك الثانى قواته من المنطقة . واعترف بزعماء قبيلة الوطاويط الثلاثة فى بنى شنقول وخوما وأصوصا وأقرهم على بلادهم ، وذلك فى عام ١٩٠٨(٤٣) .

(٤٠) S.N.A. Report by G. A Willis.

(٤١) Sudan Government, Sudan No. 1 (1925) OP. Cit. PP. 8-9.

(٤٢) S.N.R. Report by Willis هذا وتقع موتوسورو حالياً داخل حدود أثيوبيا بعد سلسلة من التعديلات الحدودية.

(٤٣) S.N.A. Note on Sitt Amina (Amna).

ولقد أدار هؤلاء الزعماء أمور قبائلهم على جانبى الحدود دون كثير من الالتفات للأوضاع السياسية التى جدت بعد تحديد الحدود . وفى حالة شيخ خوجالى الحسن زعيم أصوصا ، نجد أنه فى غضون أكثر من ربع القرن التالى لخضوعه للحماية الحبشية حاول مرارا التدخل فى شئون مجتمع جبل أورا على أساس أن القوم الذين يعيشون فيه هم رعاياه. ولقد حظيت وجهة نظر الزعيم هذه بتأييد كامل من المهاجرين ، الذين اعتبروا أنفسهم ملتزمين تماماً أمام زعيمهم أولاً وقبل كل شىء . وقد عبرت ست آمنة مراراً عن هذا الوضع حين أبدت امتعاضها من السلطات المحلية فى السودان، ورفضت الخضوع لعمدة المنطقة، وقررت أن تتعامل مباشرة مع الإدارة البريطانية في كورموك Kurmuk، وذلك باعتبار أنها تتولى الإشراف على شعبها من قبل شيخ خوجالى، وهى بالتالى ، كشيخه عليهم ، تعتبر نفسها مسئولية أمام الحكومة عنهم . ثم إن لها، فى نظر نفسها ، وضعاً ملكياً خاصاً cauasi-royal status وينبغى أن تعامل بما هى أهله من هيبة ووقار، ولقد قبلت حكومة السودان هذا الوضع حين تبادل الحاكم العام والسيدة قرينته ليدى وينجت الهدايا مع ست آمنة فى عام ١٩١٦(٤٤) .

٢- علاقة الزعماء بمهاجرى قبائلهم وراء الحدود :

طالب شيخ خوجالى الحسن بالسيادة الاقطاعية Feudal Lordship على كل قبيلة خوما Khoma، التى ينتمى إليها أتباعه الذين رافقوا ست آمنة، إضافة إلى قبيلة البيرتا. وقد قام هؤلاء المهاجرين بزراعة مساحات كبيرة من الأرض تكفى مؤنتهم، وصارت مورتوسورو Mortosoro، مركزا لحياة نابضة داخل الحدود - السودانية ، ومقرا ثابتاً لست آمنة ، تشرف منه على عمل أتباعها . وعلاقة ست آمنة بهؤلاء الأتباع هى علاقة السيد بخادمه الإقطاعى، إلا أن السلطات البريطانية كانت تعتبر ذلك نوعاً من الرق. ولقد أكد أكثر من مراقب للأحداث خلال هذه الفترة أن هؤلاء الأتباع كان أقرب إلى الخدمة الإقطاعية، من كونهم رقيق خدمة منزلية .Feudal Serfdom Rather Than Domestic Slavery(٤٥) .

(٤٤) S.N.A. None On Sitt Amina (Amna).

(٤٥) Ibid

ولم يكن خوجالى الحسن وحيداً فى موقفه هذا، فإن غيره من الزعماء فى منطقة الحدود كان لهم نفس الرأى . ويمكن القول بأن كل قبيلة الوطاويط هذه والتى انتشرت بطونها على جانبى الحدود ، مرت بنفس الظروف واشتركت فى نفس الرأى. فإذا كان ما سبق لنا أيضاحه من آراء خوجالى الحسن مُعبراً عن أحد أقوى بطون القبيلة ، وهو الركابية Rikabia ، فإننا نجد مثيلاً لآرائه تلك لدى البطون القبلية الأخرى الممتدة في بنى شنقول وأصوصا ، لا سيما فى قبة حيث يحكم حمدان أبو شوك، وفى جبل بيلوارا Belwara، قرب كورموك ، حيث بطون عراكيين Arakiin أو الكباشاب Kubashab ، ولدى أقربائهم من كباشاب دار محارب، وكذلك لدى بطون الحضر Hodor والعقباب Ugubab فى عمق أصوصا داخل الحبشة، ولدى بطون تورجورى Tor Juri، من أتباع شيخ توم باناقه Tom Bannag على النيل الأزرق ، ولدى بطون البديرية Bedeiria، والذين يعرفون بناس واد محمود فى جبل دول Jebel Dul، ولدى بطون الخناقية Khanagia، والذين يعرفون باسم ناس أحمد، وهم أقرباء لخوجالي الحسن ، ولدى بطون الربوطاب Rubutab، والذين يعرفون باسم ناس محمد حسن فى فداسى Fadasi . وكانت هذه البطون جميعها تضطر إلى التجارة في الرقيق، حين يشتد ضغط الحكومة الحبشية المركزية عليها لدفع ضرائب مبالغ فيها، فتزداد بالتالى تحركات القبائل هرباً من تحمل ما تنوء به من التزامات، ويزداد أيضاً هروب الرقيق منها إلى داخل السودان(٤٦) .

وقد اعتاد شيخ خوجالى الحسن أن يرسل لزوجته عدداً من أتباعه لزراعة المنطقة الواقعة بين جنوب مورتوسورو على نهر يابوس Yabus داخل السودان ، وبين منطقة إقامته داخل الحبشة . والواضح تماماً أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لقبيلة لم تتأثر كثيراً بتحديد الحدود ، وأن أغلب التأثيرات وقعت على عاتق الزعماء الذين كان عليهم الاتصال بالسلطات الحبشية، باعتبار أنهم

(٤٦) S.N.A. Ar Kell, Southern district Commissioner, (W.N.P) Kosti, 29 April 1928 to the governor, (W.N.P) El dueim.

وراجع عن القبائل الواردة أعلاه MacMichael, H.A: Op. Cit., PP. 200, 209, 271, 329, 333, 346.

علي رأس الهرم السلطوى مطالبون بتقديم فروض الولاء والطاعة للحكومة الحبشية ، ومكلفون بإرسال ما افترضته عليهم هذه الحكومة من جزية(٤٧) ، فضلاً عما كان يرسله إلى أديس أبابا من رقيق ، خلال رحلاته إليها ، كهدية للحكام والرؤوس الأمهرة(٤٨) .

وقد أخذت ست آمنة جزءاً كبيراً من الممتلكات المنقولة لزوجها شيخ خوجالى خوفاً من المصادرة الحبشية لها. بينما كان على زوجاته الأخريات داخل الحدود الحبشية فى مناطق أصوصا وكيرين Kirin وبيلميتى Belmiti ، أن يراعين الممتلكات شبه الثانية من أرض وماشية. وكان بيت خوجالى في كيرين هو أهم بيوته إطلاقاً؛ ففيه تُحفظ الأسلحة والذخائر، ويقيم رجاله ورقيقه الذين يحملون السلاح ، إذ يتولى الإشراف عليه أحد أتباعه، يعرف باسم البمباشى . ولقد كان وضعه هذا قريباً من وضع قادة المهدية، بل إن خوجالى يوصف بأن له ما كان لهم من ذكاء وتوقد. ولما كان ابنه المهدى هو ابن ست آمنه أيضاً ويقيم في كيرين، ولما كان وكيل أبيه العام، وموضع ثقته، فإن الحكومة الحبشية قد اعترفت به خليفة الأبيه فى حالة غيابه . وقد وُصفَ بأنه «مهدى» ودرويش» فى كل تصرفاته(٤٩) . وهكذا خضع أناس ينتمون تماماً للمجتمع السودانى للحكم الحبشى.

وكان خوجالى يرسل بأبنائه الكثيرين ، الذين يصلون لسن الثامنة أو التاسعة إلى كيرين ليعنى بهم البمباشى ، ويقوم بتدريبهم على السلاح وركوب الجياد والصيد والقنص(٥٠) .

ويمكن لنا أن نقول إن كل المنطقة الحدودية الممتدة من النيل الأزرق إلى خور داجا Daga عاشت بعد تحديد الحدود نفس الظروف ، حيث صار الزعماء العرب، السودانيون سابقاً، رعايا أحباشاً، وصارت قبائلهم من برتاوية وغيرها تحيا على جانبى الحدود. ورغم المشاكل التى ترتبت على تقسيم هذه القبائل بين سلطتين

(٤٧) S.N.A. Report by G.A Willis.

(٤٨) S.N.A. Khojali el Hassan's Household, Report by an Informant Who Lived There, but left the District In 1918.

(٤٩) Ibid. pp. 1-2.

(٥٠) Ibid. p. 1.

سياسيتين، فإنها كانت تمارس حياتها التي اعتادتها قبل التقسيم. وصارت حكومة السودان مضطرة إلى القبول بوجودهم، رغم ولائهم المشترك ، سياسياً لها واجتماعياً لزعماء من رعايا الحبشة، وذلك بعد ما تأكد لها أن طردهم لن يؤدى إلى خير بسبب اعتماد اقتصادهم على الانتقال الدائم عبر الحدود ، التي لم تراع هذا الوضع(٥١) .

ولقد تحكمت الزعامات التقليدية من أمثال خوجالى الحسن وحمدان أبى شوك، لحد كبير فى تحركات قبائلهم على جانبى الحدود. ولكن كان هناك عامل آخر أدى إلى تحرك جماعات من أتباعهم، دون موافقتهم، بعيداً عن نفوذهم. ولقد ساعد على هذا التحرك اختلاف نظامى الحكم علي جانبى الحدود ، وتباين وجهتى نظر كل منهما إزاء القبائل المحلية. فهذه القبائل الخاضعة بشكل مطلق لسلطة الزعيم فى الحبشة، هى فى نظر الإدارة البريطانية فى السودان قبائل مستعبدة، فإذا ما فر بعض رجالها إلي السودان رفضت حكومتها إعادتهم، واعتبرت وجودهم فيها تحريراً لهم من ربقة الاستعباد . وقد تزايدت حركة الهروب إلى السودان ، بسبب تركيبة المجتمع الحبشى وسيطرة مسألة الاسترقاق علي سوق العمل فيه، من ناحية، وبسبب إصرار حكومة السودان على عدم إعادة الفارين إلى الحبشة. وكان كثير من الزعماء التقليدين عاجزاً عن تصور كيفية سماح حكومة السودان لرعاياه بالحياة الحرة وإبعادهم عن سيادته. ولقد أدى هذا إلى توتر العلاقات بين حكومة السودان وبين الزعماء داخل الحبشة من حين إلى آخر(٥٢) .

ومن هؤلاء الأتباع البسطاء، الذين كانوا ينتقلون للزراعة من مكان إلى آخر حسب أمر أسيادهم الأقطاعيين، من لم يكن يعلم على وجه اليقين هل يقع موطنه داخل الحبشة أم داخل السودان. وكانت هذه الحقيقة واضحة تماماً بالنسبة لسكان منطقة دابوس ، الذين تمتد قراهم على طول خور دابوس، وتعرف جميع هذه القرى بأسم دابوس مع إضافة إسم محلى إليها، ربما كان إسم العمدة،

---

(٥١) S.N.A. Not e from Mr 1. f Nolder, Governor Fung province To.

(٥٢) S.N.A. Report by G.A. Willis.

أو إسم عائلته التى تتوارث المنصب ، أو ما إلى ذلك ولعل الجهل بحقيقة إنتماء هذه القرية أو تلك لأحدى السلطتين على جانب الحدود يعكس - وبقوة - ضعف الانتماء السياسى فى المنطقة من ناحية، وقوة الانتماء القبلى من ناحية أخرى وعجز الحبشة عن كسب ولاء أهالى المنطقة عن طريق إيجاد مصلحة مشتركة بينهم وبين السلطة المركزية ، من ناحية ثالثة(٥٣) .

٣- صراع الزعماء فيما بينهم على جانبى الحدود :

وقد أدى عجز الحبشة هذا ، وضعف إشراف حكومتها المركزية على المنطقة الجديدة إلى سنوح فرصة للصراعات بين الزعامات التقليدية وإلى إمكانية فرار أحدهم إلى السودان، ومحاولته تزعم البطون المقيمة بها من قبيلته. وفيما يتعلق بقبيلة البيرتا فقد كان من دأب أباطرة الحبشة أن يحتجزوا أبناء الزعماء فى بلاطهم، أو حتى الزعماء أنفسهم ، ضماناً لاستتباب الأمن فى أقاليمهم. ومن هنا فإن شيخ خوجالى ذهب إلي أديس أبابا ذات مرة ولم يعد، بينما اعترفت الحكومة الحبشية بابنه المهدى حاكماً وزعيماً على بلاد أصوصا ، خلفاً لأبيه(٥٤). وقد أثار هذا حفيظة أخ له غير شقيق هو أحمد خوجالى . وقد يمكن لنا أن تظن أن السلطات الحبشية كانت تحاول إرغام ست آمنة على العودة إلى الحبشة بممتلكاتها الكبيرة، وحتى تجعلها تحت رقابتها، ولكنها فشلت في ذلك. أما أحمد فيبدو أنه أراد الزعامة على قبيلته داخل الحبشة، على أن تكون الزعامة للمهدى داخل السودان ، حيث توجد ست آمنة (٥٥) .

وقد أصدر شيخ خوجالى أمره من أديس أبابا إلى ابنة المهدى بقتل أخيه أحمد، وأن يحكم السيطرة على الأمور فى غيابه . ولكن أحمد فر إلى السودان مع عدد من أتباعه نجاة بنفسه. وقد عاد أحمد إلى الحبشة بعد ذلك ، حيث توجه إلى أديس أبابا ، لتقديم شكواه للحكومة المركزية (٥٦) .

---

(٥٣) انظر شهادة بعض المهاجرين ، ولا سيما مريم بنت موسى من قبيلة الوطاويط والمقيمة فى دابوس فى : S.N.A. Fung Provice 41/D/15, Singa, 22 April , 1926.

(٥٤) S.N.A. Khojali El Hassan's Honsehold p. 1.

(٥٥) S.N.A. M.R. D.M. purves, Acting Governor, Fung Province Singa 3.10.26, to civil Secretary. Khartoum.

(٥٦) S.N.A. Daga District Intelligence Report, Jan. 1928.

علي أنه إبان فترة بقاء أحمد فى السودان كان بعض رفاقه قد استقر فيه بالفعل وفضل عدم العودة إلى الحبشة ، فقامت حكومة السودان بمصادرة بنادقهم (٥٧) .

ومن المهم هاهنا أن نحاول تفهم وتحليل نظرة السلطات البريطانية فى السودان لهذا الصراع. والواقع أن هذه السلطات اعتبرت أن وجود زوجة الشيخ خوجالى لديها هو عامل من عوامل توطيد أواصر الصداقة مع هذا الزعيم القوى. وعلى الرغم من أن زوجة خوجالى قد ضبطت متلبسة بتجارة الرقيق بين السودان والحبشة ، فإن السلطات البريطانية ترددت إزاء التزامها الأدبى والقانونى بإنزال العقاب بها، أو على الأقل طردها خارج السودان، بسبب رغبتها فى الحفاظ على صداقة زوجها (٥٨) .

وكانت آمنة ذاتها تخشى غضب حكومة السودان عليها ، وتوجست خوفاً من إعادتها للحبشة ، فأعلنت اعتذارها عن أية ممارسات خاطئة لها ، وحاولت أن تومىء إلى أن الأمر أقرب ما يكون إلى مؤامرة حبشية ضدها تستهدف تشوية صورتها الناصعة أمام حكومة السودان لإرغامها على العودة إلى الحبشة (٥٩). وأكدت ست آمنة أنها «ليس لها ملجأ سوى حكومة السودان، والتى تدعو ليل نهار أن تستمر فى الحكم ... إنها أعدل حكومة وإن رجالها أعدل حكام، ونحن رعاياكم... وإنى أمتثل للحكومة فأفعل ما تأمر به ، وأنتهى عما تنهانى عنه» (٦٠).

ولقد استجابت حكومة السودان لتلميح ست آمة ، على الفور فعفت عما سلف منها . وعلى الرغم من أن حكومة السودان أكدت لها ضرورة تحملها مسئولية تصرفاتها وتصرفات أتباعها، حيث أعتبرتها مسئولة أمامها عن عدد من القرى ، فإن نائب السكرتير الإدارى فى الخرطوم أرسل إلى حاكم إقليم الفونج فى سينجا فى ١٠ أكتوبر ١٩٢٦، يأمره بتخفيف حدة إنذاره لست آمنة ، وذلك بحذف عبارة

(٥٧) Ibid.

(٥٨) S.N.A. Report by G.A. Willis.

(٥٩) S.N.A. Mr. D.M. purves Acting G. overnor F.P., Singa, 3.10.26 to Civil Sec. Khartoum.

(٦٠) S.N.A. Amna Bint Saad to the Goverar F.P., Singa.

«إجبارها على العودة إلى الحبشة» إن عادت إلى مخالفة أوامر الحكومة، إلى عبارة «النظر بجدية فى أمر بقائها فى السودان فى حالة مخالفتها أوامر الحكومة» (٦١).

٤- اضطراب الأمن على جانبى الحدود :

أدت هذه الحالة من عدم الاستقرار السياسى ، وعدم وضوح الهوية والانتماء إلى اضطراب إلاّ من على الحدود . فقد عجزت الحبشة على ملىء الفراغ السياسى الناتج عن انسحاب الحكم المهدى أولاً، وعن تنازل بريطانيا لها عن المنطقة ثانياً. فشهدت الحدود، وبخاصة المنطقة الجبلية المواجهة لمدينة كورموك Kurmuk السودانية ، نشاطاً ملحوظاً لعديد من العصابات الخارجة على القانون ، أو على الأصح الخارجة على القانونين الحبشى والانجليزى، وصارت المناطق الجبلية الوعرة ملجأ لهذه العصابات التى صارت تفر من كل جرم تقترفه فى الحبشة إلى السودان ، ومن كل جرم تقترفه فى السودان إلى الحبشة بينما نفضت السلطات الحبشية يديها من أغلب هذه الأمور، وتركتها للزعماء المحليين (٦٢).

ومن أبرز الأمثلة التى تقدمها لنا وثائق الجيل التالى لمعاهدة ١٩٠٢ ، عصابة محمد واد محمود، الذى اشتهر أمره وذاع صيته في مسائل السلب والنهب على جانبى الحدود ، مستخدماً أعداد كبيرة من أتباعه أو رفيقه . وقد طلبت حكومة السودان من السلطات الحبشية مراراً وتكراراً بين عامى ١٩١٧ ، ١٩١٩ أن تكبح جماحه وتردعه . وأخيراً وفى العام الأخير ، كلفت الحكومة الحبشية شيخ خوجالى الحسن بالتخلص من المنطقة ، وتمكن خوجالى من هزيمته وقتله . إلاّ أن بعضاً من رفيقه وأتباعه رفضوا الاستسلام للسلطات الحبشية ، وظلوا يمارسون السلب والنهب واللصوصية وقطع الطريق ، باستخدام الأسلحة النارية والجياد، لأكثر من عقد كامل نجحو خلاله فى الحصول بأستمرار على ذخائرهم،

---

(٦١) S.N.A. Acting Cirl S ecretary 10.10.26 to the Governor F.P., Singa.

(٦٢) S.N.A. Mr E.N. Gorbynop, Fung Province, Singa, To Civil Secrtary, Khartoum, 29 March 1926.

وفى تجنب السلطات الحبشية والسودانية على جانبى الحدود . وعجز شيخ خوجالى الحسن المكلف بالقضاء عليهم ، عن الضرب على أيديهم (٦٣).

وعندما خلف شيخ محمد المهدى خرجالى أباه خوالى الحسن فى حكم قبيلته عجز أيضاً عن كبح جماح عصابات محمد واد محمود . وقد تكررت إعتداءات هذه العصابات على بعض القرى السودانية . ولما لم تجد مطالب السلطات البريطانية إلى السلطات الحبشية بكبح جماحها ، آذاناً صاغية فقد أرسل مساعد مأمور كورموك يوم ٦ فبراير داورية نظامية خرجت إلى مورتوسورو ، عن طريق جبل جيروك من ناحيته اليسرى . وكانت الداورية تضم باش شويش وثلاث جنود شرطة. وقد تعرضت الداورية فى الخامسة مساء لهجوم خاطف من عصابة قدر عدد رجالها بأربعين رجلاً . ورغم ذلك فقد صمد رجال الداورية للهجوم ، حتى تمكنوا من قتل ثلاثة من اللصوص وأسر اثنين منهم بينما فر الباقون إلى جبل بورو Borro فى الحبشة (٦٤).

وفى الحبشة مارس رجال العصابات ما اعتادوه من قطع الطريق ، حتى أرسل محمد المهدى خوجالى خطاباً فى ٣٠ يناير ١٩٢٦ إلى مستر ديفيز C.G. Dives مساعد مدير إقليم الفونج الجنوبى Ass istaut District Commissioner في كورموك، يخير فيه بهجوم أتباع محمد واد محمود على دول Dul من جبل جيروك ، ويفيد بأنهم أسروا أربعين رجلاً من أتباعه، ويطالب السلطات السودانية بالتخلص من هذه العصابة من قاطعى الطريق من على الحدود ، وإعادة رجاله إليه (٦٥).

وقد اعتبر حاكم مديرية الفونج – في خطاب أرسله من عاصمته في سينجا إلي السكرتير الإدارى فى الخرطوم – اعتبر المهدى وقحا لأنه يطلب العمل علي كبح قوم هم فى الحقيقة من «رعايا الحبشة» . وعلى أية حال فقد أمر مستر ديفيز رجال الشرطة بتفتيش جبل جيروك. وتحرك الصول على رأس اثنى عشر رجلاً ، مع رسول محمد مهدى خوجالي، إلى قرية جيل جيروك داخل الحدود

(٦٣) Ibid.

(٦٤) Ibid.

(٦٥) S.N.A. Mr. E.N. Corbyn, Gov. F.P. to Civil Secretary 29 March 192.

السودانية، حيث عثر ، على بُعد بضع مئات من الياردات منها، على مأوى للصوص يضم أكواخاً قديمة ، وأخرى حديثة ، ولكن لم يعثر على أحد من اللصوص . وبعد مزيد من البحث والتفتيش عُثر على واحد وعشرون شخصاً مختبئين داخل أحد الكهوف، فأحضروا إلى كورموك. وقد اتضح أنهم هم الأشخاص الذين يطالب شيخ محمد المهدى بعودتهم إليه، كما اتضح أيضاً أنهم هربوا إلى اللصوص برغبتهم ، ولم يتم خطفهم قهراً (٦٦).

هذا وقد أنزل مستر ديفيز العقاب بمكوك جيروك، لعدم إخبارهم إياه بوجود هذه المستوطنة للصوص على الجبل . ولقد كان يمكن الحدس بوجود مزيد من مستوطنات الخارجين على القانون على جبال المنطقة (٦٧).

وقد استمر الأتباع القدامى لمحمد واد محمود فى القيام بهجمات خاطفة على جانبى الحدود . وقامت عصابة منهم كانت تعسكر فى جبل دول بالهجوم على بعض أتباع شيخ محمد المهدى وقتلوا وخطفوا ستة منهم . وقد طلب المهدى من أبيه شيخ خوجالى - الذى كان محتجزاً فى أديس أبابا - أن يطلب إلى الحكومة المركزية إرسال قوات إليه لمهاجمة جبل دول داخل الحبشة. ولكن لما كان وصول هذه القوات يستغرق ما يزيد عن شهرين، فقد قام المهدى بإخبار المسئولين البريطانين بأنه سيقوم بإجراءات عسكرية على الحدود ، وطلب إخطار سكان القرى السودانية بذلك، لئلا يتعرضوا لنيران قواته. هذا وقد مشط المهدى ورجاله الغابة الواقعة وراء جبل جيروك ، ولكن كان واضحاً أن رجال العصابات قد انتقلوا من المنطقة بعد هجومهم (٦٨).

وهكذا أدى انقسام قبيلة واحدة على جانبى الحدود السودانية الحبشية إلى ضياع مسئولية حفظ النظام فيها بين سلطتين، وصارت حياة الآمنين عرضة للترويع فى كل لحظة .

---

(٦٦) Ibid.

(٦٧) انظر نص خطاب محمد المهدى خوجالى إلى مستر ديفيز فى .Ibid

(٦٨) S.N.A. Mr J.T.B Chata way, Acting District Commissiner, Southern Fung, Kurmuk, 26 Dec. 1927 to Governor, F.P. Southern District Comm., Roseires.

ولم يكن ترويع الآمنين هذا قاصراً على ممارسات بعض العصابات ، بل إن بعض المسئولين الأحباش قد قاموا بقدر يعتد به من الممارسات العنيفة على الحدود (٦٩). ومن أمثلة ذلك ما قام به فيتورارى زللاكة F. Zallaka بصحبة عدد من رجاله لا يقلون عن مائة وسبعين جندياً مسلحين بالبنادق من صيد وقنص عند منطقة نهر ديندر فى إقليم جاليجا Galega، وذلك في أبريل ١٩٢٥ ، حيث جمعوا كمية كبيرة من العاج. ومن ثم فقد قامت شرطة حكومة السودان مراراً بمصادرة قوافل العاج الحبشية ، فعهدت السلطات الحبشية بشكل غير رسمى على ما يبدو لأحد ضباطها بالعمل على استعادة العام أو الحصول على تعويض مماثل . ولكن الضابط رفض عبور الحدود دون أوامر مكتوبة من قائده، وقد أرسلت داورية من الكتيبة الثانية عشرة إلى المنطقة ، ولكن القوة الحبشية عادت إلى سايو Sayo قبل وصولها . وقد استمرت العصابات الحبشية تذرع منطقة الحدود جيئة وذهاباً ، وقامت بمصادرة القوافل التجارية، وحدثت بينها وبين شرطة السودان وبصفة خاصة فى منطقة الرهد - مصادمات مستمرة. كذلك فقد شهدت منطقة الحدود حركة نشيطة لتهريب الأسلحة الحبشية داخل السودان ، لأنها كانت تجد فيه سوقاً رائجة نظراً لأرتفاع أسعارها فيه بشكل أكبر منه فى الحبشة (٧٠).

٥- هجرة البروتاويين إلى السودان وسياسة حكومته إزاءهم :

شهدت منطقة الحدود هجرة مستمرة لجماعات صغيرة من البرتاويين إلى السودان ، حيث يعيش أقرباؤهم. وعلى الرغم أن هذه الجماعات لم تكن تقارن ، من ناحية العدد ، بهجرة كبيرة مثل هجرة أسرة خوجالى ، إلا أنها كانت هجرة مستمرة . وقد تدافعت جماعات تضم كل منها رجلين أو ثلاثة إلى كورموك والروصيرص. وكذا فرغم أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا رقيقاً، بل كانوا أشبه بأقنان الأرض Serfs فإن سادتهم داخل الحبشة طالبوا بعودتهم بإلحاح شديد، كما طالبوا بدفعهم ما كان مرتباً عليهم من ضرائب سنوية . كما كان بعضهم مطلوباً فى جنايات ارتكبها قبل هجرته ، أو هروبه على الأصح (٧١).

(٦٩) راجع ص٨ من هذه الورقة .

(٧٠) Sudan Government, Sudan No. 2 (1926) pp. 10-11-, 62.

ويبدو ضرورياً أن نعرض لسياسة حكومة السودان إزاء هؤلاء المهاجرين أو اللاجئين، مثلما عرضنا لموقفها من الزعماء . وقد حددت إدارة إقليم الفونج معالم هذه السياسة، من ناحية المبدأ ، فى عدم إجبار هؤلاء اللاجئين على العودة إلي الحبشة ، ما لم يثبت ارتكابهم لجرائم يعاقب عليها القانون، فيتم تسليمهم لحكومتها . أما بقية اللاجئين فقد قام حاكم الجزء الجنوبى من إقليم الفونج بإنشاء عدد من القرى والمستوطنات في منطقة الروصيرص ، بغية توطينهم فيها إن رغبوا فى ذلك ، أو يرسل بعضهم لإقليم شمال الفونج ، وتبذل الجهود لمنع تشرد أى منهم، وذلك بتعيين شيوخ عليهم ، فى كل قرية . هذا ويمنح المهاجرون أرضا لزراعتها ، تشجيعاً لهم على الاستقرار. أما من أراد منهم العودة إلى الحبشة فعليه أن يدفع ضرائب العام . وقد جرت عادة إدارة الإقليم عندما تكون حالة الفقر والضنك واضحة على اللاجئين أن تمنحهم قروضاً لتمكينهم من زراعة الأرض، حتى يمكنهم جنى المحاصيل ، كما يُعفون من سداد ضرائب العام الأول لاستقرارهم، حتى يوطدوا أقدامهم فى أوطانهم الجديدة (٧٢).

وقد أحرز اللاجئون نجاحاً فى مستوطناتهم الزراعية ، وبصفة على أخوار تومبا في Tombakh ويابوس Yabus وخوما على الداجا، ولثبتوا أنهم عمال مهرة، وزراع أكفاء (٧٣).

وقد اضطرت حكومة السودان إلى الإسراع بفتح مستشفى سينجا قبل الموعد المقرر لذلك (٧٤).

علي أية حال فقد تحمل السودان عبء إيواء المهاجرين واللاجئين الأحباش وتوطينهم وتوفير فرص العمل لهم، وتمليكهم الأرض. بينما كانت الحكومة الحبشية لا تكتفى بجباية الجزية ، بل يقوم ضباطها بغارات على قبائل الحدود .

(٧١) S.N.A. Mr. D.T Bothell, Acting Governor, F.P Singa, September, 15, 1927 to Civil Secretary, Khartoum P. 1.

(٧٢) S.N.A. Mr. D.T. Bothell, Op. Cit., PP. 1-2.

(٧٣) S.N.A. Report by Mr. G.A. Willis, 21. 7. 26.

(٧٤) Sudan Government, Sudan No. 2 (1926) Op. Cit, P. 62.

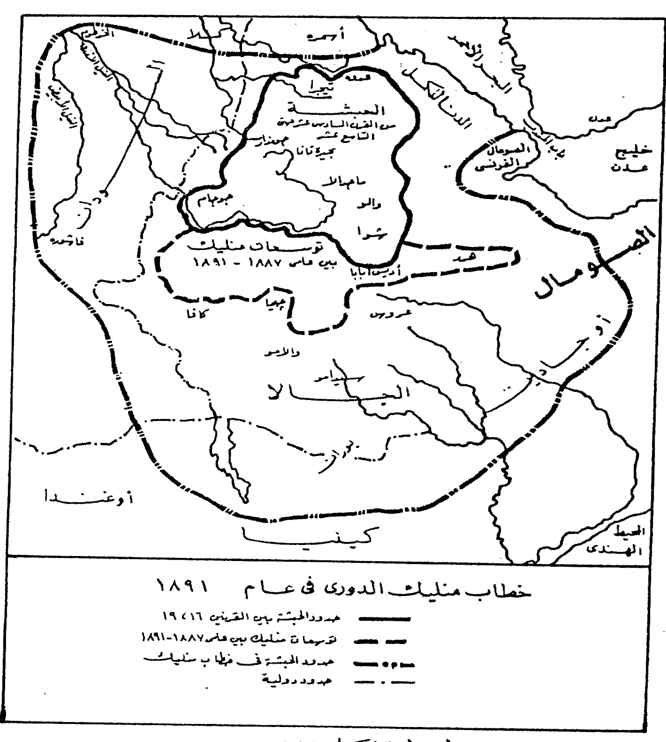
الخـــاتمـة

ترتب على تحديد الحدود السودانية الحبشية ، فى وقت سيطرة بريطانيا الفعلية على مقدرات الأمور فى وادى النيل أن انقسمت بعض القبائل السودانية على جانبى الحدود. ولم تكن تلك هى خسارة السودان الوحيدة ؛ بل إن حكومة السودان قد حملت ميزانيته أموالاً لا يستهان بها من أجل العمل على إقرار الأمن والنظام على الحدود ، وبصفة خاصة بعد أن ضربت حكومة الحبشة عرض الحائط، باتفاقية تحديد الحدود فى ١٩٠٢، وواصلت العمل على التوسع داخل الأرض السودانية، للسيطرة على مزيد منها .

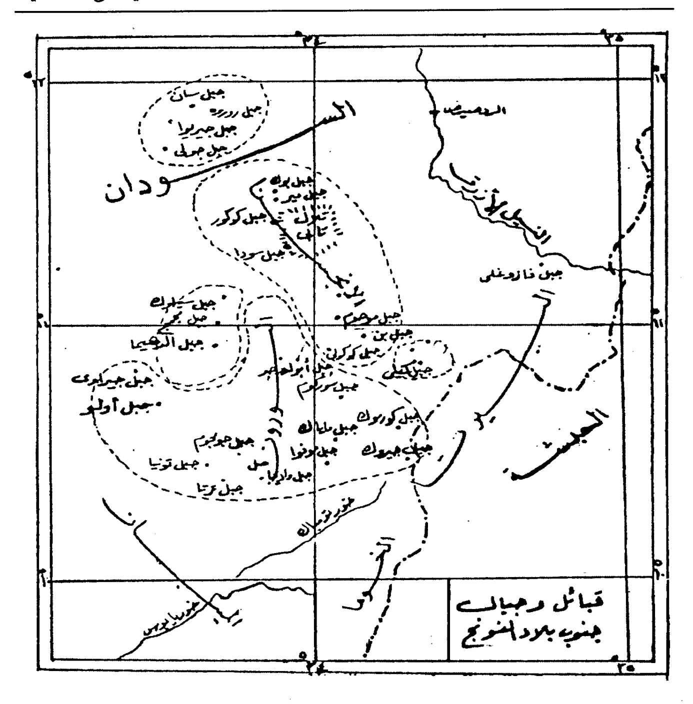
وقد أدى عجز الحكومة المركزية الحبشية وسلطاتها المحلية فى ربط المنطقة التي حصلت عليها من أرض السودان بالوطن الحبشى الأم، وفشلها فى إيجاد مصالح مشتركة بينها وبين رعاياها فى تلك المنطقة ، فضلا عن تكريسها لسياسة العنف إزاء هم وتركيز جهدها على جباية الجزية، دون تقديم خدمات تذكر للأهالى . أدى كل هذا إلى شيوع روح الكره للحكم الحبشى، والرفض له ، وهو الأمر الذى أدى بالتالى إلى فرار كثير من أبناء القبائل الخاضعة له، بل وبعض زعمائها إلى السودان.

وقد اضطرت حكومة السودان إلى القيام بجهد كبير من أجل توطين هؤلاء المهاجرين وتقديم المساعدات لهم ، وإقامة مستوطنات لإيوائهم ، ومدهم بالقروض وإعفائهم من الضرائب إلى حين تثبيتهم لأقدامهم فى الوطن الجديد.

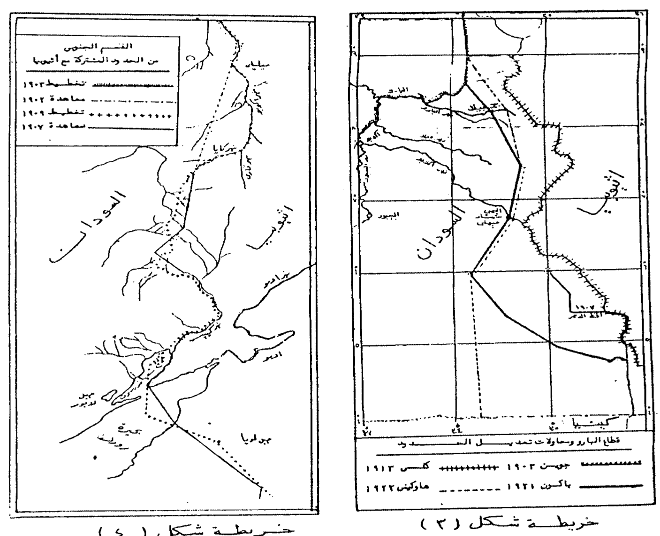
ولقد يبدو الأمر كأنما هو مقدور على شعب السودان أن يستضيف اللاجئين من الحبشة مع مرور الأيام. والواقع أن حل مثل هذه المشاكل لا يتأتى إلا بأن تخطط الحدود تخطيطاً صحيحاً ، وعلى الطبيعة، مع مراعاة أن ترتبط كل البيئات الطبيعية بأهلها، وأن يكون هدف الحكومات هو تقديم المقابل الفعال من تنمية اقتصادية واجتماعية لقاء ما تجبيه من ضرائب ، فليس الأمر أمر توسعات أرضية فقط ، بل إن للشعوب ، لدى حكامها، حقوقاً هى أولى بالرعاية من كل شىء.


البحر الأحمر
تيجرا
الحبشة
من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر
بحيرة تانا
جوجام
والو
شوا
توسعات منليك
بين عامى ١٨٨٧ - ١٨٩١
أديس أبابا
هرر
الدناكل
باب المندب
عدن
خليج عدن
الصومال الفرنسى
الصومال
أوجادين
كافا
جيما
الجالا
أوغندا
كينيا
المحيط الهندى
خطاب منليك الدورى فى عام ١٨٩١
حدود الحبشة بين القرنين ١٦، ١٩
توسعات منليك بين عامى ١٨٨٧-١٨٩١
حدود الحبشة فى خطاب منليك
حدود دولية

خريطة شكل (١)



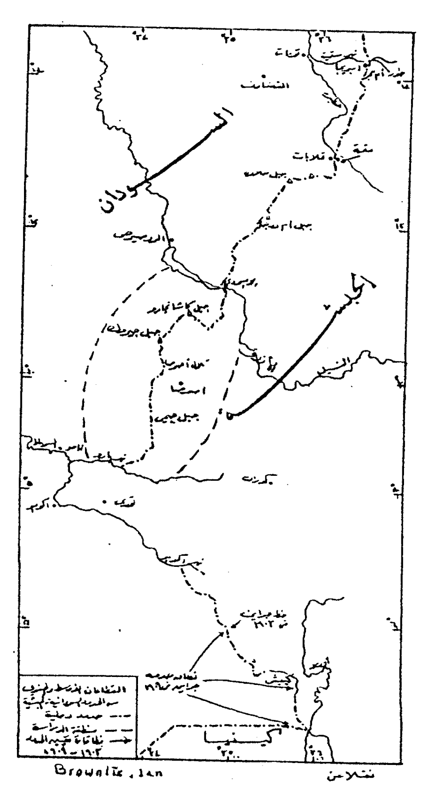
خريطة شكل (٢)



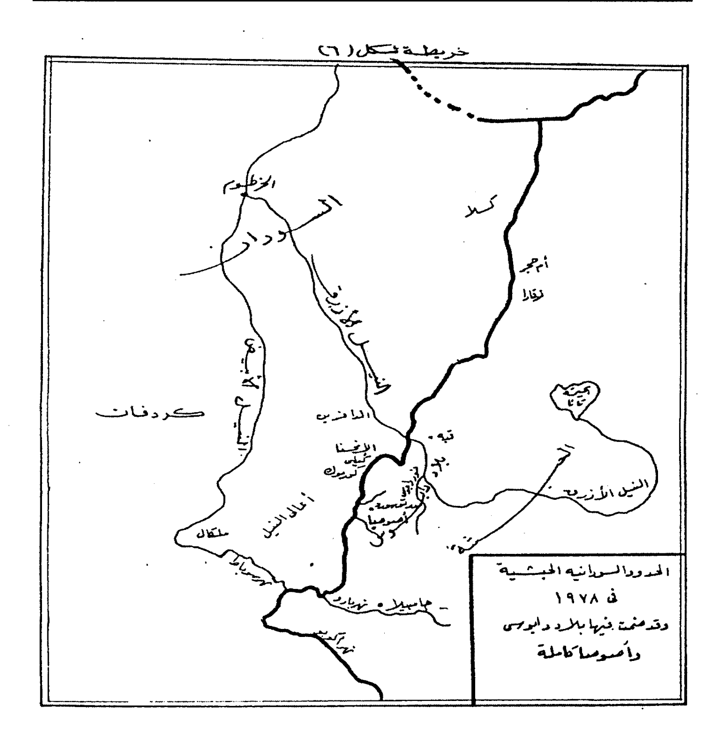
خريطة شكل (٤)

خريطة شكل (٣)

نقلا عن البخاري عبد الله الجعلي



خريطة شكل (٥)


خريطة شكل (٦)
الخرطوم
السودان
كسلا
أم حجر
النيل الأزرق
كردفان
أعالي النيل
ملكال
بحيرة تانا
النيل الأزرق
الحدود السودانية الحبشية
في ١٩٧٨
وقد ضمت فيها بلاد دابوس
وأصوصا كاملة

المصـــادر والمراجـــع

ا - وثائق غير منشورة:

F.O. .

- F.O. 4.3/255, Menelek to Rodd, 13 May 1897.
- F.O. 1/32, Salisbury, s Instruction, s to Rodd.
- F.O. 403/255, Memomrandum by Wingate, 7 May 1897.
- Sudan National Archieve (S.N.A.)
- Report by G.A Willis, Under the Heading Fung Province, 12.7. 1926.
- Note on Sitt Amina (Amna).
- Amna Bint Saad to the governor, Fung Province, Singa.
- Arkell, Southern District Commissiones White Nile Province (W.N.P) Kost, 29 April 1928, to the Governor (W.N.P) El-Dueim .
- Khojabi El Hassan,s Household, Report by an Informtion who lived There, but left the District in 1918.
- Note From Mr L.F. Nalder, Governor, Fung province, to Mr Davies, Director of Intelligence, Written at Khartoum 29.3. 1928.
- Fung Province / 41/D/15, Singa, 22 April 1926.
- Mr. D.M. Purves, Acting Governor, Fung Province, singa; 3.10.26 to Civil Secretary; Khartoum.
- Daga Province intelligence Report; Jan 1928.
- Acting Civil secretary, 10.10.26 to the goernor, F.P. Singa.

- Mr. E.N. corbyn, Governor, F.P. Singa, to Civil Secretary, Khartoum, 29 March, 1926.

- Mr. J.T.B. Chataway, Acting district Commissioner Sowthern Fung; Kurmuk, 27 Dec. 1927 to the Governor, F.P. Thro District Comm, Roseires.

- Mr. D.T. Bothell, Acting Governor, F.P., September 15, 1927, To civil Sec. Khartoum.

ب- وثائق منشورة فى :

- Brownlie, Ian : African Bounderies, PIV, Sudan Ethiopia & East Africa, Landon, 1979.

وقد نشر المؤلف وثائق عديدة أهمها معاهدة ١٩٠٢ وخرائطها ، وتعديلاتها.

- Sudan Government, Sudan No. 1 (1925) Report on Finance, Administration & Condition of the Sudan in 1924, Landon 1925.

- Sudan Government, Sudan No. 2 (1926) Report on Finance, Administration & Condition of the Sudan in 1925, London 1925.

جـ- مراجع عربية :

- البخارى عبد الله الجعلى (دكتور) . ديبلوماسية الحدود فى افريقيا ، نزاع بين السودان واثيوبيا - التطورات الديبلوماسية والأوضاع القانونية لحدود السودان مع أثيوبيا واريتريا ، والكويت، الطبعة الأولى , ١٩٧٩

- السيد فليفل (دكتور) . مشكلة أوجادين بين الاحتلال الحبشى والانتماء العربى الإسلامى ١٨٨٧ - ١٩١٣ ، تحت الطبع .

- : تصور بريطانى للخريطة السياسية للقرن الافريقى والسودان والحبشة ، بعد الحرب العالمية الأولى - بحث قدم للندوة الدولية للقرن الأفريقى. معهد البحوث والدراسات الافريقية ، ١٩٨٥ .

- محمد عبد الغنى سعودى (دكتور) ؛ السودان ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ .

- يونان لبيب رزق (دكتور) السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ القاهرة ، ١٩٧٦ .

د- دوريات أجنبية :

- Marcus, Harold G. Ethio-British Negotiations Concerning The Western Border With The Sudan 1896-1902 (in Journal of African History, Vol. IV, 1963).

هـ- مراجع أجنبيه :

ones A.H.M. & Monroe, E: Ahistory of Ethiopia, Oxford, 1960. Seligman, C.G: Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, London, 1932.

